يعود في مصر الحديث عن أهمية القلاع والحصون الأثرية في مدينة الإسكندرية، إثر تداول حديث عن احتمالية هدم إحدى الطوابي، المعروفة بطابية الدخيلة. وهذه القلاع تمثل رمزاً تاريخياً للمدينة

العديد من الطوابي تعرضت إلى ضياع المعالم الأثرية وانهيار أسوارها الخارجية (العربي الجديد)

طوابي الإسكندرية

تاريخ مُهدّد بالتخريب والهدم

الإسكندرية ـ **أحمد عبده**

باختصار

انطلقت دعوات للمطالبة بالاهتمام والحفاظ على الحصون التاريخية التي تتعرّض إلى الهدم واحدة تلو الأخرى

■■■

أصبحت طوابي الإسكندرية معرضة إلى الانهيار لعدة عوامل، على رأسها الإهمال الشديد الذي تواجهه لغياب الترميم والمتابعة المستمرة

■■■

طوابي مدينة الإسكندرية تحمل تاريخاً يصوّر كفاح المدينة ضد الغزاة، ويمكن الاستفادة منها في القطاع السياحي في مصر

حالة من الارتباك وتضارب البيانات بخصوص هدم إحدى طوابي الإسكندرية الأثرية (شمالي مصر) المعروفة بطابية الدخيلة، بعد تداول أخبار عن البدء في أعمال تطوير المنطقة المحيطة، أعادت إلى السطح الحديث عن الأهمية التاريخية والسياحية لتلك الحصون التي ساهمت في حماية مصر من الغزاة منذ بدايات القرن التاسع عشر. الطوابي هي إحدى القلاع أو الحصون التاريخية التي بناها الحكام والملوك على مدار التاريخ لتحصين سواحل المدينة وشواطئها المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ضد الغزو الخارجي. فيما زاد الاهتمام بها بأمر من محمد علي باشا والي مصر (1805 – 1848)، إذ وصل عددها إلى 25 قلعة منتشرة في أطراف المحافظة.

وبمرور الزمن، تقلّص عدد الطوابي لأسباب عديدة، ما بين التعديات، أو الظروف المناخية الصعبة، وإهمال الصيانة والترميم، وتردي حالتها الإنشائية، ولم يبق منها إلا بقايا وأطلال 12 طابية وبرجاً مسجلين أثاراً، مثل طابية الدخيلة والنحاسين الموجودة في منطقة الشلالات وسط المحافظة، وطابية عرابي في منطقة العجمي، فيما تعاني مبان أخرى من التآكل بفعل الأمواج، مثل طابية كوسا باشا، والطابية الحمراء، وقلعة قايتباي. ورغم إعلان وزارة الآثار المصرية أنه لا توجد نية لهدم طابية الدخيلة التي يرجع تاريخها إلى العصر المملوكي، وأنه لن تجري إزالتها كما يتردد، وسيُحافَظ عليها ضمن مشروع تطوير المنطقة مع مشروع ميناء الإسكندرية الكبير، انطلقت دعوات للمطالبة بالاهتمام والحفاظ على الحصون التاريخية التي تتعرض إلى الهدم واحدة تلو الأخرى من دون اكتراث لقيمتها التاريخية والأثرية، وإنقاذها من الإهمال والتعديات والاندثار، كجزء من هوية المدينة وتاريخها العريق. هكذا، وجه النائب محمود عصام، عضو مجلس النواب، طلب إحاطة للحكومة ممثلة في وزارتي السياحة والآثار والتنمية المحلية بشأن ترميم طوابي الإسكندرية، وإنقاذها من الانهيار.

قال النائب: «أصبحت طوابي الإسكندرية معرضة إلى الانهيار لعدة عوامل، سواء بسبب الإهمال الشديد الذي تواجهه لغياب الترميم والمتابعة المستمرة، أو بسبب التعديات التي تواجهها في العديد من المناطق». وأوضح عضو مجلس النواب في طلب الإحاطة أن الظروف والتغيرات المناخية التي تشهدها مدينة الإسكندرية، أثرت أيضاً في الطوابي، حتى أصبحت عرضة للانهيار. وأكد أن الطوابي واحدة من أهم العلامات المميزة في الإسكندرية. وأشار إلى أن عدداً كبيراً من الطوابي تعرض إلى الإهمال ما تسبب في سقوطها، وتواجه بقيتها أزمة قد تودي بها إلى السقوط أيضاً. وطالب النائب الحكومة ممثلة في وزارتي السياحة والآثار والتنمية المحلية، من خلال المحافظة، بوضع خطة لإنقاذ ما تبقى من هذه الآثار الشاهدة على مدينة الإسكندرية، مشدّداً على ضرورة توفير الاعتمادات المالية اللازمة لصيانتها ورفع كفاءتها.

ينتقد أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالمعهد العالي للسياحة بالإسكندرية، إسلام عاصم، ما وصفه بغياب المعلومات الرسمية حول الأمر، مشيراً إلى أن معلومات مجهولة المصدر تدفقت بشدة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بإزالة بقايا طابية الدخيلة للمنفعة العامة، لتكون تحت تصرف الهيئة العامة لميناء الإسكندرية. ويؤكد عاصم لـ«العربي الجديد» أن طوابي مدينة الإسكندرية تحمل تاريخاً يصوّر كفاح المدينة ضد الغزاة، ويمكن الاستفادة منها في قطاع السياحة في مصر، مشيراً إلى أن هناك العديد من الكتب والدراسات الأجنبية، خاصة من باحثين إنكليز، اهتمت بهذه المواقع، لأهميتها التاريخية والعسكرية.

ويوضح أن المنطقة المحيطة بطابية الدخيلة تشمل الحوض الجاف، وفناراً، ومنطقة مخصصة للصيادين، ومدافع أثرية تعود إلى عهد الخديوي إسماعيل، كما كانت تضم في فترات سابقة ثاني أقدم المطارات في مصر، قبل إزالته. فيما يطالب رئيس حملة الدفاع عن الحضارة المصرية، عبد الرحيم ريحان، وزارة السياحة والآثار، بضرورة بالبدء فوراً في مشاريع عاجلة للترميم ودرء الأخطار عن طوابي الإسكندرية والمدافع النادرة الموجودة بها، بالتعاون مع كل الجهات المعنية، لوضعها على الخريطة السياحية في مصر، مع ضرورة وضعها على قواعد خرسانية ودهانها بمواد للحفاظ عليها، وعمل مصدات لمياه البحر، وتطوير وتجميل المنطقة المحيطة بالأثر، ونقل المصانع الملوثة للبيئة، وتحويلها إلى استراحات ومنطقة خدمات للموقع السياحي، وجراج لخدمة الزوار. ويؤكد ريحان أن الطوابي لم تحظَ بالاهتمام المناسب، وكثير منها لم تمتد إليها أعمال الترميم أو التطوير نهائياً، رغم أن بعضها مسجّل في قوائم الآثار الإسلامية المصرية، ومنها ما هو غير مسجّل، وكثير منها تعرض إلى ضياع المعالم الأثرية، وانهيار أسوارها الخارجية، وتحلل المونة الرابطة بين الأحجار، وتآكل الأحجار، بفعل الأمواج والتغيرات والعوامل المناخية، كما أن المدافع أمامها تعرضت إلى الصدأ والتآكل، بسبب العوامل المناخية وقربها من البحر.

ويوضح ريحان أن المدينة كانت على مر العصور محل اهتمام كل الحكام، وعندما تولى محمد علي حكم مصر اهتم بتحصينها، فاستدعى المهندس الحربي الفرنسي، جاليس بك، لترميم الحصون القديمة وبناء العديد من الطوابي والأبراج الجديدة على مسافة ثلاثة كيلومترات لتأمين سواحل المدينة ضد أي غزو. أما الخبير والمختص في الآثار البحرية، زياد مرسي، فيقول إن طابية الدخيلة هي أقدم أثر مملوكي مسجّل في الإسكندرية، وشاهد على حقبة مهمة في تاريخ مصر، من خلال دورها في تحصين الحدود والشواطئ، ضمن عشرات من الطوابي الحربية الأثرية التي تحكي تاريخ المدينة وتعاني من مخاطر عديدة نتيجة مرور الزمن وإهمال الصيانة والترميم.

يوضح مرسي لـ«العربي الجديد» أنه بمرور السنين اندثرت أغلب هذه الطوابي على طول الساحل المصري، بداية من العجمي في الإسكندرية حتى دمياط، وبعضها ما زال صامداً، يحتفظ بكثير من ملامحه مما يستلزم اهتماماً أكبر لتوثيقها والحفاظ عليها، إلى جانب إجراء أعمال ترميم عاجلة لدرء الخطورة عنها. ويؤكد ضرورة توضيح الأمور فيما يخص تاريخ المنطقة ومستقبلها، بخاصة أن طابية الدخيلة لها رمزية تاريخية، فكانت من أقدم وأشهر الطوابي الدفاعية في مدينة الإسكندرية ضد الغزاة، وتُمثل شكلاً من أشكال الكتائب العسكرية ذات الرادارات المناسبة لذلك الزمن.

وأخيراً

استحقاق المِهَنيّة في «العربي الجديد»

رشا عمران

قد تكون نادرة جدّاً المقالات التي أرسلتها إلى «العربي الجديد» ولم تنشر لأي سبب. نادرةٌ لأنّ عددَ ما كتبتُه من المقالات، منذ بدأت الكتابة مع هذه الصحيفة المتميّزة، لا يُحصى، سواء في صفحة مقالات الرأي أو في الصفحة الأخيرة، حيث أكتب زاويةً أسبوعيةً منذ ثماني سنوات ونيّف، أو في موقع ضفّة ثالثة. ربّما خلال هذه السنوات كلّها طلبَت مني إدارة التحرير إرسال مقالين بديلين فقط، وأتذكّر أنّي كنت قاسية الرأي فعلاً في المقالين (مقالات رأي) تجاه قضايا مُحدَّدة، وكنت وأنا أرسلهما يخامرني الشكُّ في إمكانية نشرهما. خلا ذلك، لم يتوقّف لي مقال، ولم تُحذف لي فقرة من مقال، ولم يغيّر عنوان مقال. تتدخّل هيئة التحرير أحياناً في الصياغة، وفي تصحيح الأخطاء النحوية واللغوية بحِرَفيّةٍ شديدةٍ تُحسب لها، فيخرج المقال أو الزاوية بما لا يُذكر من أخطاء (إنْ وجدت)، وهو ما أرى فيه احتراماً للمؤسّسة وللصحيفة، ولكتّابها أولاً. لا أتذكّر أنّه ثمّة موضوع لم أكتب عنه خلال سنوات كتابتي مع «العربي الجديد»، كتبت عن كلّ شيء، في السياسة وفي المجتمع وفي الثقافة وفي الإسلام السياسي وفي الجنس وفي الحُبّ وفي الفنّ، وفي تشعّبات هذه المواضيع كلّها، وفي تداخلها بعضها ببعض، وارتباطها بعيش الناس، خصوصاً في بلادنا العربية ومجتمعاتنا الإسلامية؛ كتبتُ كثيراً عن سورية وأحوالها، وعن أحوال ثورتها وناسها في الداخل والخارج، كتبتُ عن مثقّفيها، معارضيها ومواليها، كتبتُ عن ناسها العاديين وعن حياتهم، كتبتُ ذاكرتي عن سورية قبل الثورة، وعن سورية بعدها، وكتبتُ ذاكرتي عن الثورة ورأيي القاسي بمآلاتها وبمن أوصلها إلى هذه المآلات؛ كتبت خواطرَ شخصيّةً ورثاءات شخصيّةً وعامّةً، كتبت في كلّ شيء، وفي كلّ مقال أو زاوية أكتبها أكتب رأيي الشخصي، الذي أشكّ أحياناً بأنّه قد لا يتوافق مع رأي رئيس التحرير، وفي بعض الزوايا انتقدت أعمالاً موّلتها المؤسسة التي تتبع لها «العربي الجديد»، وكتبت رأياً قاسياً فيها. ومع هذا، لم يمنع ذلك كلّه مقالاتي من أن ترى النور إلى النشر، ولم يمنعها من أن تُنشر كاملةً من دون أيّ حذف فقرة هنا أو هناك.

تصادف هذه الأيام الذكرى العاشرة لصدور صحيفة «العربي الجديد»، وهو ما يجعلني أكتب ما أكتبه الآن تعبيراً عن الامتنان لما قدّمته لي هذه الصحيفة ومؤسّستها والقائمون عليهما، ولما منحته لي من فرص مهمّةٍ وكبيرةٍ لكتابة ما أشاء في الموضوع الذي أريد الكتابةَ عنه، ولإبداء رأيي علناً في مواضيعَ عامّةٍ إشكاليةٍ؛ وهذا أمر قد يعتبره بعضهم عادياً، لكن كُتّاب مقالات الرأي والزوايا يعرفون أنّ التدخّلات التي تحدث من إدارة التحرير في غير صحيفة أو موقع كبيرة وكثيرة، ويعرفون أيضاً أنّ الحذف قد يطاول فقرة أو أكثر من مقالاتهم لسبب من الأسباب، ويعرفون أنّ ثمّة مواضيع لا يمكن الاقتراب منها إن كانت تتعاكس مع سياسة الدولة المموّلة للصحيفة أو للموقع الذي يكتبون فيه.

> أثبتت «العربي الجديد» أنّها على قدْر تحدّيات المرحلة السياسية، في مواقفها من الأنظمة، وفي استقطابها كُتّاب «الربيع العربي» وشبابه

لم يسبق لي أن عبّرت علناً عن رأيي بـ«العربي الجديد»، وأتجنّب، عن قصد، الخوضَ في جدالات مواقع التواصل الاجتماعي، التي تحدّثت عن الصحيفة التي تكرهها الأنظمة العربية، وتحجبها عدة دول، ويكرهها أيضاً موالو هذه الأنظمة، ويشتمونها ويشتمون من يكتب فيها، ويتّهمونه بالعمالة. وفي الوقت نفسه، يشتمها بعض مُؤيّدي «الربيع العربي» والمعارضين للنظام السوري، تحديداً، لأسباب قد تكون أيديولوجيةً وقد تكون شخصيةً، ما يدفع كاتبة هذه السطور إلى الابتعاد عن الدخول في جدالات عقيمة في عالم الافتراض بشأن مؤسّسة العربي الجديد، وصحيفتها، التي أثبتت خلال عقد أنّها على قدْر تحدّيات المرحلة السياسية العربية، سواء في مواقفها من الأنظمة أو في استقطابها كُتّاب «الربيع العربي» وشبابه.

وفي ما يخصّ سورية، كانت سبباً مباشراً ليحتفظ كثير من كُتّاب سورية وشبابها بكرامتهم نتيجة عملهم معها، وفيها وفي المواقع التابعة لها، وكاتبة هذه السطور واحدة من هؤلاء الكُثُر.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**